

المثقف العربي والقطيعة مع الحاكم

سياسية ودبلوماسية كبيرة. فقد كان الدكتور طه حسين مثلاً وزيراً للتعليم. وكان الكاتب الكبير يحيى قنصلا لبلاده في ليبيا. وفي سوريا، فتحت أبواب المناصب السياسية والدبلوماسية لشعراء وكتاب مهتمين مثل عمر ابوريثة الذي كان سفيراً لبلاده في مصر، وفي الهند، وفي البرازيل، وفي الأرجنتين، وسامي الدروي الذي نقل أعمال دوستوفسكي وتولستوي إلى اللغة العربية، والذي كان سفيراً لبلاده في بلدان عدة، ونزار قباني الذي كتب أروع قصائده لما كان سفيراً لسوريا في بكين، وفي مدريد. انطلاقاً من أواسط الخمسينات، وبداية الستينات، مع ظهور أنظمة الحزب الواحد، وتكاثر الانقلابات العسكرية، حدثت القطيعة بين المثقفين والأنظمة الحاكمة التي أصبحت تتعامل معهم بحسب منطق الولاء والطاعة. فإن هم قبلوا خدمتها صاغرين، أكرمتهم، واحتفت بهم. أما إذا ما تمردوا عليها، فإنها تنسو عليهم، ولا تردد في إرسالهم إلى السجون والمنافي، أو في إذلالهم. وحرمانهم من قوتهم اليومي. وهذا ما فعلته جل الأنظمة العربية على مدى نصف قرن أو يزيد.

حسنونة المصباحي
كاتبة تونسية

في أواخر الثمانينات من القرن الماضي، كان لي لقاء مع القنصل التونسي في مدينة ميونخ حيث كنت أقيم. وأثناء الحديث معه، تبين لي أنه يظن أن الأدب على الدواعي المتميز، والذي توفي عام 1949 وهو في سن الأربعين، لا يزال على قيد الحياة. كما تبين لي أن ذلك القنصل لا يكاد يعرف شيئاً عن الثقافة التونسية، لا في حاضرها ولا في ماضيها. أحزنني الأمر كثيراً إذ كيف تسمح الدولة التونسية بتعيين قنصل في بلاد غوته وشيلر وهو على تلك الحالة المزرية من الجهل بثقافة بلاده. وسرعان ما تضاعف حزني بعد أن أدركت أن جل القناصل، وجل السفراء التونسيين في البلدان الأوروبية، وفي البلدان العربية، وفي البلدان الأخرى لا يختلفون كثيراً عن القنصل التونسي بميونخ. وأغلبهم لا يعيرون اهتماماً كبيراً للثقافة. وهم يتحاشون الاقتراب من المثقفين لأسباب لا يرغبون في الإفصاح عنها.

وهذه الظاهرة، أي ظاهرة إقصاء المثقف التونسي من المجال الدبلوماسي والسياسي قد تعود إلى القطيعة التي حدثت بين نظام بورقيبة في نهاية الستينات، وبداية السبعينات من القرن الماضي، وبين المثقفين الذين تمردوا ضد سياسته الداخلية والخارجية، وجاهلهم كانت لهم ميول يسارية وتقدمية.

وقبل ذلك، أي قبل الاستقلال وبعده بسنوات قليلة، سعى النظام التونسي إلى استقطاب المثقفين. فقد عين بعض منهم في مناصب سياسية رفيعة مثل محمود المسعدي الذي كان وزيراً للتعليم، ثم وزيراً للثقافة، ومحمد مزالي مؤسس مجلة "الفكر" الذي تقلد مناصب سياسية رفيعة، آخرها منصب وزير أول، والشاذلي القليبي الذي كان وزيراً للثقافة، ثم مستشاراً أول لدى الرئيس بورقيبة، ثم أميناً عاماً للجامعة العربية، والكاتب والمؤرخ العروسي المطوي الذي كان سفيراً في بغداد، ثم عضواً في البرلمان.

وكان الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة يرعى برنامج "هواة الأدب" الذي كان يهتم بأدب الشباب، وإثني قصره بالمنستير كان يدعو المساهمين فيه لتكريمهم على هامش عيد مولده. فلما حدثت القطيعة المذكورة، زج بالمئات من المثقفين في السجون، وأصبح نظام بورقيبة يتعامل مع المثقفين بجفاء وقسوة، مقصياً إياهم من المناصب السياسية حتى الصغيرة منها فلا يعين فيها إلا من أثبت الولاء والطاعة. ولم يختلف نظام بن علي عن نظام بورقيبة. فقد حافظ ذلك النظام على نفس الأساليب في التعامل مع المثقفين.

وما أظن أن الأوضاع في البلدان العربية كانت مختلفة عن الأوضاع في تونس. ففي عهد النظام الملكي في مصر، تقلد مثقفون مرموقون مناصب

العبث بالفن بحجة الأخلاق

تحريف أغاني الخلاعة والدلاعة جنائية على الأصل وخيانة وتزوير



«الأخلاقية» تهمة جاهزة ضد الفن والفنانين

نادرا قبل البوتيتوب. ولم أجد في أغنية «الخلاعة والدلاعة» إلا محاولة لنزع هالة القداسة عن أم كلثوم، فلا الأغنية عيب، ولا المغنية الشابة أجرت.

كانت الأنسة أم كلثوم بنت زمانها، واستجابت لروح ذلك العصر، واتسقت مع بشريتها التي يحاولون تجريدها منها. وفي كتابها «أم كلثوم» تقول رتيبة الحفسي إن «أم كلثوم أخطأت مرة، وبزولها عند رغبة الجمهور، في تقديم تلك الأغنية، وقد لامها محبوبها «على انسحابها وراء موضة العصر من الأغاني الهابطة الخلية»، فسارعت إلى جمع الإسطوانات من الأسواق، ودفعت تعويضا لشركة الإنتاج، ثم قدمت الأغنية مرة أخرى، بعد أن أجرى أحمد رامي تعديلا على الكلمات التي أصبحت «الخفاة واللطافة مذهبي من زمان».

جرى ذلك عام 1926، حين كتب ولحن أحمد صبري الجريدي أغنية «الخلاعة والدلاعة». ويورد المجلد الخاص بأم كلثوم في «موسوعة أعلام الموسيقى العربية»، نص الجريدي ويستبعد «تهذيب» أحمد رامي. وقد كان لا أم كلثوم مثقفون، وقيل إن محمد التابعي أخرجها من ذلك الصرح بزعم حدوث انتقال، والقول إن في سوق الغناء «أمهات» كلثوم، وإن إحداهن افتعلت هذه الأغنية، لكي تسيء إلى الأنسة أم كلثوم.

في ذلك العام، 1926، لحن أحمد صبري الجريدي لأم كلثوم أغنيات منها «الحب كان من سنين»، «الفل والياسمين والورد»، «أنا على كيكك»، «شفت بعيني ما حدش قال لي»، «كم بعثنا مع النسيم سلاما»، «لي لذة في لثتي وخضوعي»، «مالي فتنت بلحظك الفتاك»، «يا سستي ليه المكاييدة»، «يا كروان والنبي سلم»، ثم اختفى. استمعت الآن، بعد كتابة هذه السطور، إلى هذه الأغاني بهذا الترتيب، وختمتها بأغنية «الخلاعة والدلاعة»، وتساءلت: هل أصابت الجريدي لعنة أم كلثوم، وكان أول ضحاياها؟

سيد درويش وحياء صبري: شفقتي بتاكني أنا في عرضك/ خليها تسلم على حدك.

وترد نزهة: يا دين النبي تنك سارح/ ما شبعتش من ليلة إمبراح. ولكن الموسوعة، ويفترض أنها جهد علمي يعني بالتوثيق لا الأخلاق، خشيت على قارئ يفترض أنه متخصص، فتجاهلت توثيق النص الأصلي للأغنية، واعتمدت على النسخ الصوتية المنقحة، وساءها ذكر الشفاه والخدود في أغنية، فكتبت النص كالتالي: مهجتي في إيديك أنا في عرضك/ خليها يا روجي أمانة عندك.

وجاء الرد المهذب خاليا من كلمتي «دين النبي»: عجب العجب تنك سارح/ ما أنا لسه مقابلا إمبراح كما أسقطت الموسوعة أيضا دعاية البطل، في نهاية الأغنية باداء تصويري: «أذيني بوسة، طب هاتي بوسة». في النسخ الجريدي من بعض الأغاني المصرية جنائية على الأصل، وخيانة وتزوير أيضا، ولا تندش حين تسمع من يختم «الاطلال» لأم كلثوم هكذا «لا تقل شئنا فإن الله شاء»، بدلا من «فإن الحظ شاء». وكانت أم كلثوم نفسها رائدة، وبنفسها غيرت في سنن مبكرة، لكي تحافظ على صورة مثالية أصابها الامتزاز بأغنية «الخلاعة والدلاعة» مذهبي من زمان.

أغنية «الخلاعة والدلاعة» ظلت سرا، إلى أن أتاحتها الإنترنت. وكنت قد فوجئت بها، للمرة الأولى، في مهرجان روتردام للفيلم العربي عام 2005، في الفيلم الوثائقي الطويل «عندما تغني المرأة» للمخرج التونسي الراحل مصطفى الحسناوي. في هذا الفيلم المناصر للحرية، من دون أن يرفع شعارا صاخبا، شاهدت للمرة الأولى أيضا منيرة المهدي في تسجيل تلفزيوني كان

حتى أم كلثوم خافت من الأخلاق العامة ومن اتهامها بالخلاعة حتى أن رتيبة حنفي في كتابها «أم كلثوم» تقول إن الفنانة أخطأت بنزولها عند رغبة الجمهور

لم يرصد باحث أعداد المسلمين ممن الحدوا، أو تخلوا عن التزاماتهم الدينية في العبادات والمعاملات، بسبب نشر كتاب يُتهم بخدش الحياء، أو إذاعة أغنية فيها لفظيؤذي أسماعهم. والقاعدة الذهبية هي حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يحسبك» من «الشواذب»، وعلى أخلاقك من التشوش، فانك كتاب ألف ليلة وليلة، وستجد غيره أكثر تهديبا وإحصاء، ولن تعدم من يتشبهك وقد «هذب» الليالي وجعلها على مفاص يريده قارئ مثلك.

وقد قضيت ساعات مع طبعات مختلفة، ورقية وصوتية، من أغنية «على قذ الليل ما يطول» التي كتبها بديع خيرى. هي ديالوج بين سيد دروش وحياء صبري في مسرحية «العشرة الطيبة» عام 1920. وكانت عائشة عبدالعال ملهمة الشيخ سيد درويش، واختار لها اسمها الفني «حياة صبري»، ثم زالت عنها الأضواء، وتغيرت الدنيا، واستشهد ابنها الرائد جميل إبراهيم عام 1954، وعرفها الجيران بأم جميل.

الأغنية الأصلية تختلف عن نسخها الحديثة بأصوات آخرين، كما يختلف عنها النص الوارد في «موسوعة أعلام الموسيقى العربية»، التي أصدرتها مكتبة الإسكندرية عام 2003، وحظي منها سيد درويش بمجلدين. في النسخ الحديثة من الأغنية تقول المرأة:

اوعى يكون حد شاييف طيفنا ويرد المغني: حينا طاهر ايه يخوفنا؟ اعتبار «على قذ الليل ما يطول» مجرد أغنية يهدر سياقها في المسرحية، وهذا الحوار الغنائي جزء من العرض، ويبدو بين بطلي المسرحية، سيف ونزهة التي تقول في النص الأصلي:

اوعى يكون حد شاييف طيفي ويرد سيف: خطي في قلبك بطيخة صيفي والدلالة المصرية للبطيخة الصيفي هي طماننة المخاطب بالقول «حط في بطك بطيخة صيفي»، ويلي ذلك مباشرة توسل سيف إلى نزهة، بصوتي الشيخ

التزوير والتحريف سمان بارزتان في التاريخ العربي، لكنهما لم تتوقفا عند الأحداث التاريخية لغايات سياسية، بل طالتا حتى الإبداع. الكثير من النصوص يقع تحريفها عن أصلها وخاصة القصائد المغناة، الحجج لذلك كثيرة فيها السياسي أيضا، لكن فيها كذلك الأخلاقي، حيث ما زال الفعل الإبداعي في الوطن العربي محكوما بالأخلاق لا في بعدها الفلسفي وإنما في تمثاتها الشعبية السطحية ذات المخيال الجنسي الساذج.

سعد القرش
روائي مصري

لم يرصد باحث أعداد المسلمين ممن الحدوا، أو تخلوا عن التزاماتهم الدينية في العبادات والمعاملات، بسبب نشر كتاب يُتهم بخدش الحياء، أو إذاعة أغنية فيها لفظيؤذي أسماعهم. والقاعدة الذهبية هي حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يحسبك» من «الشواذب»، وعلى أخلاقك من التشوش، فانك كتاب ألف ليلة وليلة، وستجد غيره أكثر تهديبا وإحصاء، ولن تعدم من يتشبهك وقد «هذب» الليالي وجعلها على مفاص يريده قارئ مثلك.

وقد قضيت ساعات مع طبعات مختلفة، ورقية وصوتية، من أغنية «على قذ الليل ما يطول» التي كتبها بديع خيرى. هي ديالوج بين سيد دروش وحياء صبري في مسرحية «العشرة الطيبة» عام 1920. وكانت عائشة عبدالعال ملهمة الشيخ سيد درويش، واختار لها اسمها الفني «حياة صبري»، ثم زالت عنها الأضواء، وتغيرت الدنيا، واستشهد ابنها الرائد جميل إبراهيم عام 1954، وعرفها الجيران بأم جميل.

الأغنية الأصلية تختلف عن نسخها الحديثة بأصوات آخرين، كما يختلف عنها النص الوارد في «موسوعة أعلام الموسيقى العربية»، التي أصدرتها مكتبة الإسكندرية عام 2003، وحظي منها سيد درويش بمجلدين. في النسخ الحديثة من الأغنية تقول المرأة:

اوعى يكون حد شاييف طيفنا ويرد المغني: حينا طاهر ايه يخوفنا؟ اعتبار «على قذ الليل ما يطول» مجرد أغنية يهدر سياقها في المسرحية، وهذا الحوار الغنائي جزء من العرض، ويبدو بين بطلي المسرحية، سيف ونزهة التي تقول في النص الأصلي:

اوعى يكون حد شاييف طيفي ويرد سيف: خطي في قلبك بطيخة صيفي والدلالة المصرية للبطيخة الصيفي هي طماننة المخاطب بالقول «حط في بطك بطيخة صيفي»، ويلي ذلك مباشرة توسل سيف إلى نزهة، بصوتي الشيخ

انطلاقاً من أواسط الخمسينات وبداية الستينات مع ظهور أنظمة الحزب الواحد حدثت القطيعة بين المثقفين والأنظمة الحاكمة

لكن هل سيتغير الوضع بعد انتفاضات ما سمي بـ«الربيع العربي»؟ لا أظن ذلك. ففي تونس مثلاً، لا يزال المثقف مقصياً من المشهد السياسي، ويعود ذلك إلى أن الأحزاب التي برزت خلال السنوات الأخيرة، لا تختلف كثيراً في تعاملها مع المثقفين عن الأحزاب الواحدة. فهي لا تفتح لهم الأبواب إلا إذا ما قبلوا أن يكونوا تحت جناحها، فلا ينطقون إلا بما يرضيها، ولا يفعلون إلا ما يعكس توجهاتها، وأطروحاتها في جميع المجالات.

مشروع نقل المعارف في البحرين يستعد لإصدار أهم القواميس العالمية



33 كتاباً مترجماً عن مشروع نقل المعارف

بأكثر من طبعة، فيما يواصل مسيرته لإتمام ترجمة 50 كتاباً. ونذكر من بين الكتب التي ترجمت «تفكير»، «لغات الفريوس»، «هل اعتقد الإغريق بأساطيرهم»، «التحليل النفسي»، «قصة الفن»، «اينشتاين بيكاسو» وغيرها. هذا ولا ننحصر الترجمة في نقل الأفكار والمعارف، بل هي جزء من منظومة أيديولوجية تقوم فيها بدور الوسيط المعرفي. ويركز المشروع على ما يحفز على التفكير الموضوعي والعقلاني في المسائل الفكرية والظواهر التاريخية والاجتماعية، وعلى ما يساعد على فهم الفنون وتذوقها. وتشمل القائمة قواميس مهمة ولها صيت عالمي، مثل «قاموس أكسفورد للفلسفة» وكتاب «قصة الفن» الذي ألفه غومبرتش، وهو في طبعته السادسة عشرة وصدر في سبعة ملايين نسخة.

وجدير بالذكر أنه في العام 2016، أقيمت على هامش المشروع، الندوة الدولية التي حملت عنوان «صورة الآخر: نظرات متقاطعة» وهدفت إلى معرفة التصورات والإحكام والمواقف التي

تتبادلها الثقافات والشعوب، وخاصة بين العرب والأخرين، وبالتالي معرفة العوامل الثقافية التي تحول دون تفهم حقيقي ومتبادل بينها، ودون بناء حوار بين الثقافات يقوم على الرغبة الحقيقية في تلميح هذه التصورات والإحكام والمواقف من التشويه وعلى رغبة حقيقية في معرفة الآخر. وقد شارك في هذه الندوة حوالي 60 باحثاً وأستاذاً جامعيين من 25 بلداً هي: الجزائر ولبنان وفلسطين وتونس والأردن ومصر والمغرب وسوريا والسعودية وليبيا والعراق والسودان واليونان وإيطاليا وفرنسا وسويسرا وبوركينا فاسو وألمانيا وجمهورية التشيك وقبرص وإسبانيا وجمهورية الكونغو وبلجيكا والكاميرون ورومانيا. ويندرج المشروع ضمن استراتيجية هيئة البحرين للثقافة والآثار في الارتقاء بالعمل الثقافي الهادف إلى خلق حراك ثقافي بحريني وعربي وعالمي. والكتب العشر الأخرى والتي من بينها قواميس مهمة وكبيرة هي في مرحلة متقدمة من الإعداد للنشر، ومن المنتظر صدورها في الفترة القريبة.